الفصل الثامن

د. ساري نصر الدين

الفكر الاقتصادي الإشتراكي

من الأشتراكية الطوباوية إلى الأشتراكية العلمية

ية و التجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (نسخة الكترونية)

المعارف المستهدفة

- معرفة أهم الأفكار الاقتصادية للمدرسة الاشتراكية.
- تحديد الفرق بين الاشتراكية الطوباوية المثالية والاشتراكية العلمية.
- الإلمام بالجذور الفكرية لمختلف النظريات الماركسية.

الكلمات الدلالية

المدرسة الاشتراكية، فائض القيمة، المثالية، الجدلية، التطور الديالكتيكي، التوزيع العادل.

محاور المحاضرة

المحور الأول: تطور الفكر الاشتراكي

المحور الثاني: الاشتراكية الطوباوية (المثالية)

المحور الثالث: المفاهيم الماركسية للاشتراكية (الاشتراكية العلمية)

المحور الرابع: تقييم الفكر الاشتراكي

أسئلة للنقاش

بساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (نسخة الكترونية)

تمهيد

مع زيادة المشاكل الاقتصادية التي عانت منها أوروبا أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، والتي كان جزء كبير منها بسبب الافراط في تكريس مبادئ الفكر الرأسمالي الكلاسيكي، بدأ يتبلور فكر مغاير ومعارض للرأسمالية سواءا من حيث الأسس والمنطلقات، أو من حيث المبادئ والأهداف، فقد كان كارل ماركس خلال تلك الفترات ينادي بإسقاط النظم الرأسمالية، وتقوية دور العمال وإعطاء السلطة الاقتصادية لهم، كما حارب الفكر الكلاسكي محاربة شديدة على مستوى التنظير الاقتصادي والفلسفي، وكذلك على المستوى السياسي، حيث نادى بتطبيق الفكر الإشتراكي الداعي لتدخل الدولة بشكل مطلق في تسيير الحياة الاقتصادية، لان النظام الرأسمالي والحرية الاقتصادية حسبه، لم تسهم أبدا في التوزيع العادل للثروة، بل أدت الى ما يسميه ماركس بتركز رأس المال، الذي يعتبره جوهر الاشكال الاقتصادي للنظام الرأسمالي.

المحور الأول: تطور الفكر الإشتراكي

لم يظهر الفكر الاشتراكي كمعارض للرأسمالية الكلاسكية فقط، فقد كانت له جذور تاريخية عميقة منذ عهد الحضارات القديمة، خاصة الامتداد الفكري لكل من ارسطو وافلاطون، ومن بعده العديد من الفلاسفة والمفكرين من أمثال " توماس مور" الذي كتب في سنة 1516 في كتابه "أوطوبيا":

"حيث توجد الملكية الخاصة، حيث يقاس كل شيء بالنقود، من المشكوك فيه أن يكون من الممكن ذات يوم أن تجري شؤون الدولة بصورة صحيحة وناجحة". ولهذا إنطلق كبار المفكرين من أمثال الإنجليزي توماس مور والإيطالي توماسو كامبانيلا والفرنسيين ميليه ومايلي وبابوف وأتباع بابوف (القرن السادس عشر-القرن الثامن عشر)، وفيما بعد كبار الإشتراكيين الطوباويين أوين وسان سيمون وفوريه، في مشاريعهم وتصاميمهم لبناء دولة المستقبل، دولة العدالة الإجتماعية ومملكة الحرية، على أساس تنظيم الحياة الإجتماعية على أساس الملكية العامة.

ولكن الفكر الاشتراكي تأصل بشكل واضح في النصف الاول من القرن التاسع عشر، حيث ظهر مصطلح كلمة الاشتراكية، والتي تعني الملكية العامة لوسائل الانتاج، وتدخل الدولة في الاقتصاد من اجل حماية مساره، الذي فقد توازنه بسبب النتائج العكسية للفكر الرأسمالي الكلاسيكي، فآلية السوق ومبدأ المنافسة التامة قد أدى بالتدرج إلى اختفاء مفهوم المنافسة اصلا، وحلت محلها

ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

المنافسة الاحتكارية واحتكار القلة لوسائل الانتاج وللانتاج وللثروة كذلك، لهذا برزت الافكار الاشتراكية بشكل واضح لمحاربة هذه الاشكال من الاستغلال الرأسمالي لطبقة العمال التي اعتبرها كارل ماركس المنتجة الحقيقة للقيمة، وأن كل ما يأخذه الرأسماليوم من ارباح زائدة ماهي إلا فوائض للقيمة لم يتحصل العمال على اجر من ورائها.

كما أن الاشتراكية تطورت عبر العديد من الجدالات الفلسفية التي مارسها العديد من المفكرين والفلاسفة، من أمثال "سان سيمون" و"فورييه" وكذلك كل من "سيسموندي" و"روبرت أوين"، ومن بعدهم كل من فريديرك إنجلز" و"كارل ماركس"، الذين أعطو مفاهيم متعددة للاشتراكية، بدءا من المفهوم الطوباوي الخيالي، مرورا باشتراكية الدولة والاشتراكية الديمقراطية، وكذلك الاشتراكية الشعبية، نهاية بالاشتراكية العلمية التي واجه بها كارل ماركس التوجه الفكري الكلاسيكي والنيوكلاسيكي.

المحور الثاني: الاشتراكية الطوباوية (المثالية)

ظهر الفكر الاشتراكي المثالي أو كما يسميه البعض بالاشتراكية الطوباوية نهاية القرن الثامن عشر، وبداية النصف الأول من القرن التاسع عشر، على يد العديد من الفلاسفة والمفكرين، الذي يعتبرون من بين الاشتراكيين الاوائل، نذكر منهم (سان سيمون، سيسموندي، روبرت أوين، فورييه ... الخ)، وقد عارض هؤلاء المفكرون التوجه الرأسمالي وتغول الملكية الخاصة لوسائل الانتاج، ونادو بتطبيق توجه إجتماعي عادل للاقتصاد.

ونادو كذلك بالغاء بواعث الصراع البشري القائم على أساس تعظيم الملكية الخاصة، والسعي نحو الربح المفرط والتنافس المؤدي الى احداث اشكالات اقتصادية واجتماعية خطيرة حسبهم، وفي هذا الاطار اكدوا على اقامة نظام اجتماعي جديد يلغي مبادئ المجتمعات القديمة القائمة على أساس الملكية الفردية.

وقد انقسم الفكر الى الاشتراكي المثالي الى اتجاهين اثنين هما:

- **الاتجاه التحكمي:** ويمثله كل من "سان سيمون" و"أوغست كونت"، والعديد من الاشتراكيين المثاليين الاخرين، حيث يقوم هذا التوجه على تعزيز مبادئ الاشتراكية، دون الغاء فكرة الملكية الخاصة تماما، فحسبهم يجب الوصول الى نظام اقتصادي اجتماعي متطور وعادل في نفس الوقت، ملكية وسائل

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

الانتاج فيه تعود للدولة (ملكية عامة) دون محاربة ملكية الثروة على المستوى الفردي، لغاية الوصول الى تحقيق نظام صناعي يضمن تعظيم الانتاج وتراكم الثروة على المديين المتوسط والطويل.

- **الاتجاه التعاوني:** يقوم هذا الفكر الذي نادى به العديد من الاشتراكيين من أمثال "شارل فوريه" و"روبرت أوين"، على فكرة التعاونيات الاقتصادية الكبرى، حيث يتم تجميع الصناعات والمشاريع ورؤوس الاموال الخاصة، في شكل تجمعات اقتصادية كبرى وتعاونيات صناعية او فلاحية او تجارية كبيرة، تصبح الملكية فيها للعمال جميعا ولاصحاب رؤوس الاموال، بغية الوصول الى تعظيم الانتاج واعادة توزيعه بشكل عادل يخدم مصالح الجميع.

ان هذا الفكر الاشتراكي المثالي، بقيا مجرد افكار لم تطبق على ارض الواقع، لانها لم تكن تلقى ترحيبا كبيرا من طرف لوبيات اصحاب رؤوس الاموال، وكذلك لعدم وجود قاعدة علمية صبية ترتكز عليها تلك الافكار مقارنة بالفكر الكلاسيكي والنيوكلاسيكي.

أهم رواد الفكر الاشتراكي المثالي:

- **روبرت أوين Robert Owen:** فيلسوف مفكر اشتراكي مثالي عاش خلال الفترة (1771-1858) بانجلترا، نادى بتطبيق مبادئ الاشتراكية على اساس قيام التعاونيات الصناعية الكبرى، والغاء فكرة الملكية الخاصة المطلقة، انتقد الرأسمالية بشك لاذع، ودعى الى تغيير اجتماعي شامل في اطار اصلاح المنظومة السوسيو-اقتصادية للمجتمعات التي سادت فيها الرأسمالية الكلاسيكية.

- **شارل فوريه Charles Fourier (1772-1837):** فيلسوف ومفكر اشتراكي مثالي فرنسي، تبنى مع روبرت اوين فكرة الاستراكية التعاونية، وانتقد بشكل حاد الرأسمالية وتغول الملكية الخاصة على حساب الملكية العامة لوسائل الانتاج، حارب كذلك فكرة المنافسة التامة التي قال عنها انها هي سبب العديد من المشاكل الاقتصادية، ونادى بتنظيم مجتمعات تعاونية يسود فيها النشاط الاقتصادي بشكل متكامل ومتعاون، بعيدا عن بواعث المنافسة والسعي نحو الربح المطلق.

- **سان سيمون Saint Simon (1760-1825):** يعتبر من الفلاسفة والمفكرين الاشتراكيين الطوباوين الفرنسيين، انتقد سان سيمون بشدة فكرة الملكية الخاصة لوسائل الانتاج (ولكنه لم يحاربها بشكل كبير)، وقال بان السعي نحو تعظيم الانتاج هو الاساس في المجتمعات البشرية، وليس السعي نحو زيادة

د. ساري نصرالدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (السنة الالكترونية)

الملكية الخاصة فقط، ورأى بأن نظام التوزيع السائد فيه خلل كبير في مسار تدفق الثروة بين افراد المجتمع، لهذا نادى بتطبيق نظام اشتراكي يقوم على مبدأ العدالة الاجتماعية المطلقة.

المحور الثالث: المفاهيم الماركسية للاشتراكية (الاشتراكية العلمية)

واجهت الرأسمالية أخطر الأفكار المعارضة لها مع ظهور كارل ماركس كما يقول العديد من المؤرخين، فهذا الاخير أسس لظهور نظام اقتصادي جديد استقاه من الجذور التاريخية للفلسفة الاشتراكية المثالية رغم انتقاده لها لعدم واقعيتها في التطبيق على ارض الواقع، وكذلك استقاه من نظريات ادم سميث ويركاردو نفسها، خاصة في نظيرة القيمة الكلاسكية، وفكرة القيمة-عمل لادم سميث، وعلى هذا الاساس بنى ماركس فكره الاشتراكي واعطاه صبغة علمية اكثر ممن سبقوه، وعارض بذلك النظام الرأسمالي القائم في تلك الفترة على استغلال العمال ونهب ثرواتهم وجهودهم حسب ماركس.

1. من هو كارل ماركس Karl Marx؟

ولد كارل ماركس سنة 1818، في "بروسيا"، وهو من عائلة يهودية برجوازية، تأثر كثيرا بالأفكار الفلسفية الألمانية، خاصة فلسفة "هيجل" ونظرية التطور الديالكتيكي، حيث انظم الى عدد من المنظمات التي تتبنى هذا الفكر كجماعة "الشباب الهيجلي اليساري".

عمل كارل ماركس صحفيا، ثم انتقل الى باريس اين تعرف على العديد من منظري الفكر الاشتراكي الخيالي، ثم انتقل الى انجلترا اين تعرف على "فريديريك انجلز"، الذي طور معه النظرية الاشتراكية العلمية.

وقد انتقد كارل ماركس كثيرا الفكر الرأسمالي الكلاسيكي، وقال بأن سبب الازمات الاقتصادية كلها هو تبني هذا الفكر خاصة نظريته في التوزيع غير العادة، والتي يرى ماركس انها مجحفة في حق العمال البسطاء، الذين دعاهم الى احداث ثورة والانقلاب على الرأسماليين الاستغلاليين، واقامة نظام اشتراكي يقوم على الملكية العامة لوسائل الانتاج وعلى تدخل الدولة في الاقتصاد لتصحيح اخطاء الرأسماليين الفادحة.

محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الالكترونية)

2. أسس التحليل الاقتصادي للفكر الاشتراكي العلمي (الماركسي)

قام ماركس ببناء تحليلاته الفلسفية للاقتصاد على اساس نظرية التطور الديالكتيكي للمجتمعات، وهي فلسفة المانية قديمة تقوم على فكرة الجدلية العميقة، التي تقول بأن اي فكرة تحمل في طياتها بذور فنائها، وتقول كذلك ان التطور البشري لا يسير بشكل سلس، بل التقدم لا يكون الا بتصادم قوى تكون احداهما معارضة للأخرى، كما بنى فكره أيضا على أساس المادية التاريخية، حيث طبق ماركس فكرة التطور الديالكتيكي على الظاهرة الاجتماعية والاقتصادية، وقال بأن كل نظام سوسيواقتصادي يحمل في طياته اسس فنائه، وبذلك تتطور الانظمة وتنتقل من شكلها السلبي الى اشكال اخرى اكثر ايجابية حسب كارل ماركس، فعندما تتطور قوى الانتاج وتصل الى مراحل متقدمة، حتما سوف تصطدم مع قوى اخرى تكون مرتبطة بعلاقات الانتاج القائمة، وكذلك بعوامل الانتاج نفسها خاصة العمل، حيث يؤدي هذا الى تغيير نظم الانتاج بشكل كلي، في اطار ثورة اجتماعية تغيير من مفاهيم الانتاج الرأسمالية نحو مفاهيم اخرى اكثر عدالة في اطار النظم الاشتراكية.

لكن الفكر الاقتصادي الاشتراكي الماركسي لم يكن ذو طابع فلسفي فقط، فقد طور ماركس مع صديقه انجلز العديد من النظريات الاقتصادية، يمكن تلخيصها فيمالي:

- نظرية فائض القيمة

درس كارل ماركس بدقة نظرية القيمة الكلاسيكية، كما درس نظرية التوزيع وما تحتويه من خلل خاصة فكرة الاجر الحديدي او اجر الكفاف كما يسميه العديد من الاقتصاديين، وقد ثمن حقيقة فكرة ادم سميث التي تقول بأن القيمة تكمن في العمل، ولكنه انتقد عدم تطبيقها بشكل فعلي او الالتزام بها، فقد لاحظ ماركس ان تكوين رؤس الاموال الضخمة للطبقة البرجوازية الجديدة في تلك الفترة، ناتج اساسا عن الجهد المتزايد للعمال في انتاج القيم، فقيمة العمل تتحدد بالساعات التي يبذل فيها العامل جهدا لانتاج منتج ما، ومن هنا فالرأسمالي يشتري من العامل قوته البدنية وجهده الفكري المبذول في الانتاج، ويقوم بتشغيل هذه القوى بحجم ساعات اكبر من ما يدفعه للعامل، ومن هنا فإن تلك الارباح المحققة في النهاية ماهي الا عبارة عن فائض للقيمة انتجه العامل ولم يحقق من وراءه اجرا عادلا، فقد قال ماركس في هذا السياق بأن البروليتاريا تنفذ الحكم الذي تصوره الملكية الخاصة على نفسها بنفسها بولادة البروليتاريا، مثلما تنفذ الحكم الذي يصوره العمل المأجور على نفسه بنفسه بإنتاج الثروة للغير والفقر لنفسه.

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم المالية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

لهذا فقد دعى الى اعادة النظر في نظرية التوزيع الكلاسيكية التي قال عنها انها مجحفة بشكل كبير في حق الطبقة العاملة، وتساهم في تدفق فوائض القيمة الى وجهة غير صحيحة ادت الى تركز رؤوس الاموال فيد يد فئة قليلة من المجتمع.

- نظرية التركيب العضوي لرأس المال

ركز كارل ماركس معظم كتاباته على دراسة التركيب العضوي لرأس المال، وفهم طبيعة التغيرات الحاصلة في هذا التركيب، وقد قسم ماركس في هذا الاطار رأس المال الى قسمين:

رأس المال الثابت: والذي يتجسد في وسائل الانتاج كالالات والمباني والاراضي ... الخ

رأس المال المتغير: والذي يتجسد حسب ماركس في قيمة قوة العمل والأجور ...الخ

وقد اشار ماركس الى تأثير تغير التركيب العضوي لرأس المال على طبيعة الانتاج في حد ذاتها، من حيث التشغي واستخلاص فائض القيمة، الامر الذي يترتب عليه تركز كبير لرأس المال وانزياحه جهة ارباب العمل، على حساب الطبقة العاملة، وبالتالي زيادة نسب الفقر وانهيار المستوى المعيشي، الامر الذي ينبئ بثورات اجتماعية على النظم الرأسمالية في ذلك الوقت حسب كارل ماركس.

- نظرية تركز رأس المال

درس ماركس بشكل جيد نظرية التوزيع الكلاسيكية، وقد اكد على انها ستؤدي حتما الى خلل اقتصادي كبير سماه بتركز رأس المال، عكس ما كان يتوقع انصار المذهب الكلاسيكي الذين نادو بتراكم رأس المال، فحسب كارل ماركس ستسير الدورة الاقتصادية في ظل الفكر الرأسمالي الكلاسيكي نحو تعطيل مبدأ المنافسة الكاملة، واخراج المشاريع الصغيرة من السوق نتيجة لتغول المشاريع الكبيرة، وعدم وجود ضوابط تحكمها، ما سيؤدي الى ظهور ما يسمى باحتكار القلة، او المنافسة الاحتكارية، الامر الذي سيزيد من تركز رؤوس الاموال في يد فئة قليلة من المجتمع، وهي طبقة الرأسماليين، وهذا ما طالب ماركس باعادة النظر فيه، لأنه نظام غير عادل اجتماعيا، حيث ركز كل مجهوداته لمحاربة هذه الفكرة بشكل علمي.

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم المالية و التجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

- نظرية الأزمة

تجدر الاشارة هنا الى ما يسمى بنظرية الازمة عند ماركس، حيث يقول ان النظام الرأسمالي يحمل في طياته جذور فنائه، فهو اعتقد في ذلك الحين بانهيار النظام الرأسمالي والفكر الكلاسيكي، نتيجة للازمات الدورية التي تحصل فيه، وتوقع بحدوث ازمة عميقة تهز اركان هذا النظام، عن طريق ثورة عمالية عنيفة، سماها بالثورة الاشتراكية، والتي تنشأ لوجود تناقض كبير بين طريقة الانتاج القائمة التي تركز على العمل، وبين اهمال هذا الاخير من التوزيع العادل للثروة، حيث تتركز معظم وسائل الانتاج المادية والثروة المالية في يد فئة قليلة من الافراد، الامر الذي احدث تناقض بين جماعية العمل وفردية الملكية، ما سيؤي حتما الى صراع طبقي عنيف بين العمال وارباب العمل.

المحور الرابع: تقييم الفكر الاشتراكي

ككل فكر او تيار اقتصادي معين، هناك اسهامات قدمها الفكر الاشتراكي، وهناك العديد من السلبيات والنقائص التي اعترته، يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. الايجابيات

- ساهم الفكر الاشتراكي في انتاج مفهوم مغاير للقيمة، وتحدث عن فائض القيمة التي اعتبرها اساس انتاج الثوة ورأس المال.

- الفكر الاشتراكي الماركسي ساهم في اعادة النظر في العديد من المفاهين الرأسمالية الكلاسيكية المجحفة في حق العمال، وعلى رأسها نظيرة التوزيع التي انتقدها ماركس بشدة، وقال عنها انها تؤدي الى افقار طبقة كبيرة جدا من المجتمع.

- ساهمت نظرية تركز رأس المال في اعادة البناء الفكري لآليات التوزيع الحاصة في النظام الرأسمالي.

- ساهمت تحليلات ماركس ودراسته لرأس المال في إعطاء مفاهيم وتصورات جديدة حوله، حيث قسمه الى جانبين، رأس المال الثابت ورأس المال المتغير، وبين كيف يؤثر تغير التركيب العضوي لرأس المال على الانتاج.

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية التجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الالكترونية)

2. السلبيات:

- الفكر الاشتراكي لم يصطبغ بالصبغة العلمية الكافية لمواجهة ترسانة النظريات الاقتصادية العلمية الرأسمالية التي كانت سائدة في اطار النظرية الكلاسيكية او النيوكلاسكية.

- تعرضت نظرية القيمة وفائض القيمة الماركسية الى انتقادات عديدة، لان عنصر العل ليس هو الوحيد في الانتاج، بل هناك عوامل اخرى اهملها ماركس اثناء دراسته للقيمة، حيث قال الفريد مارشال فيما بعد ان فائض القيمة الذي تحدث عنه ماركس، والذي قد يفقده العامل، سيعوضه بفائض المستهلك الناتج عن التوسع في الاستثمارات وانخفاض الاسعار.

- الفلسفة الاشتراكية بقيت نظرية اكثر منها عملية تطبيقية على ارض الواقع.

- عدم قدرة معظم النظم الاشتراكية على مواجهة التحديات والتكيف مع الاشكاليات الحاصلة، وهو ما ادى بالكثير منها الى الانهيار

أسئلة للنقاش والتحليل

- ماهي أهم الأسس الفلسفية للفكر الاقتصادي الاشتراكي؟

- ماهو الفرق بين الاشتراكية العلمية والاشتراكية الخيالية؟

- كيف نظر كارل ماركس لرأس المال؟ وكيف فسر فكرة فائض القيمة؟

- حسب كارل ماركس فالنظام الرأسمالي يحمل في ثنياه بذور فنائه؟ فسر ذلك؟

(ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)